د. محمد دودح
باحث علمي في هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة

موعد تحرك الجنين معجزة علمية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد:

فجوابا على السؤال عن موعد نفخ الروح؛ هل هو طِبّيًا كما قال علماء الأمة الأجلاء بعد ١٢٠ يوما، أم هو كما يقول به البعض اليوم بعد ٤٠ يوما، وهل يجوز الإجهاض قبله؟، أقول مستعينًا بعلام الغُيوب سائلهُ تعالى الرشاد والتوفيق والسداد:

(أولا) موعد تحرك الجنين في القرآن الكريم:

وفق المصطلحات الوصفية في القرآن الكريم وعلم الأجنة يمر الإنسان بجملة أطوار تكوينية: (أولا): النطفة الأمشاج؛ أي المختلطة العناصر الوراثية من الجنسين، وتتكون عند الإخصاب fertilization في الثلث الخارجي لقناة الرحم بتلقيح حوين منوي يحتوي على نصف عدد الفتائل الوراثية في خلية كل بشر للبويضة التي تحتوي على النصف الآخر، فتتكون أول خلية بشرية Zygot تحتوى على كامل الفتائل الوراثية (٢٣ زوجا)، ورغم تضاعف عدد الخلايا خلال الانتقال وحتى الغرس بالرحم في نهاية الأسبوع الأول يظل الكائن الحديث الخلق بهيئة نطفة (قطيرة ماء) كروية الشكل بالكاد ترى بالعين المجردة. (ثانيا): العلق وتكوين الجنين Embryo، وفي هذا الطور الذي يستمر حتى نهاية الأسبوع الثالث يماثل الجنين العلقة leech؛ في الشكل الطولي كالدودة والعيش في سائل والتعلق والتغذي على دماء كائن آخر وانعدام عمل الجهاز الدوري. (ثالثا) المضغة، وفي تلك المرحلة منذ بداية الأسبوع الرابع وحتى نهاية السادس يكون الجنين بالفعل كتلة معتبرة كالمضغة؛ أي بحجم وهيئة ما يُمكن أن يمضغ وتظهر عليه انبعاجات وعلامات الأسنان نتيجة لتكوين أوليات الفقرات والأعضاء. (رابعا): العظام والعضلات، وتكوين أوليات الهيكل معلم بارز في تاريخ الكائن البشري حيث تبدأ الهيئة البشرية في الاتضاح مع تكون العظام في الأسبوع السابع وتتضح أكثر مع تنامي العضلات في الثامن؛ وبنهايته تتكامل جميع أوليات الأعضاء وتنتهي المرحلة الجنينية Embryonic Stage التي تبدأ مع بدء طور العلق الذي يمثل البداية الفعلية لتكوين الجنين بالرحم. (خامسا) مرحلة الحُمَيل fetus؛ وتبدأ هذه المرحلة مع بدء الأسبوع التاسع وتستمر حتى الولادة بعد حوالي ٢٦٦ يوما منذ تخصيب البويضة، وتسمى بالمرحلة الحميلية Fetal Stage، وتتصف بالنمو وتعديل الهيئة وبدء وظائف الأعضاء في العمل، ومن الأحداث المهمة فيها اتضاح مظاهر الذكورة في الشهر الثالث نتيجة لإفراز هرمون الذكورة وإلا بقي المظهر الموحد في الجنسين حتى تتضح الأنوثة في الرابع، وتتضح للأم حركة الجنين الإرادية بنهاية أربعة أشهر علامة أكيدة على الحياة الواعية.

يكتمل المظهر الإنساني بعد مرور ثمانية أسابيع مع تكون كل أوليات الأعضاء والعظام واللحم.

وتعجب أن يصف القرآن قبل اكتشاف المجهر أطوار الجنين في منظومة دلالية تتكامل بلا اختلاف رغم تعدد المواضع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٢-١٤، وفي مقابل دلالة حرف (الفاء) في التعبير (فخلقنا، فكسونا) على الترتيب والتعقيب بغير مُهلة فإن الأداة (ثم) تقتضي المُهلة؛ فتفيد تأخر مظاهر تكون إدراكه واتضاح حركته الإرادية بمدة أكبر نسبيا في مرحلة لاحقة تلت مرحلة تخليق أوليات الأعضاء التي انتهت باكتمال أوليات الهيكل العظمي والعضلات، والثابت علميا بالفعل أنه قريب الشهرين تكون كل أوليات الأعضاء قد اكتملت بينما يتأخر اتضاح حركة الجنين إلى أربعة أشهر؛ وأنه يمكن رصد انتظام دوري للحركة يعكس وجود فترات منتظمة من النوم واليقظة علامة على بدء المخ أداء وظائفه، قال ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ في تفسيره (ج٥ص٤٦٦): "(ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي: ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار (خَلْقًا آخَرَ)؛ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب".

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨و٢٩]؛ نقل الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ في روح المعاني عن أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ تفسيره للتعبير بالنفخ بقوله (ج١٤ص٣٦): "عَبَّرَ (عن إيقاد الوعي والحركة) بالنفخ الذي يكون سببًا.. لاشتعال الحطب"، وفسر الألوسي مضمون المَثَل بقوله (ج٢٣ص٢٢٥): "نفخ الروح فيه.. إعطائه قوة العلم والعمل"، وبعبارة أخرى: نشأة الوظائف الإدراكية وبدء الحركة الإرادية، والأصل في دلالة لفظ (النفخ) في بادية العرب زمن التنزيل هو دفع هواء النَّفَس ليشتعل الحطب وتتأجج النيران؛ وكَأَنَّ روحًا من الفم أوقدته وبثت في ذلك الحطب المُهَيَّأ للاشتعال حركة وحياة، فاستعيرت صورة (النفخ) لبث الملكات العقلية والحركة الإرادية في الجنين؛ وكأن الوعي والحركة اشتعال ما يلبث أن يتضاعف توقده ويتجلى تأججه، وهو من روائع التمثيل ودقيق التعبير المطابق للواقع في القرآن الكريم.

تأجج نيران موقد الحطب بالنفخ وتحرك ألسنة اللهب مشهد معلوم في بيئة العرب، وقد يتحرك غطاء الإناء بلا محرك مرئي.

وعبارة النيسابوري المتوفى سنة ٧٢٨ هـ في غرائب القرآن (ج٤ص٤٨٤): "ليس ثَمَّ نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل..، ولا خلاف في أن الإضافة في قوله: (روحي) للتشريف والتكريم مثل (ناقة الله) و(بيت الله)"، وعبارة أبي السعود المتوفى سنة ٩٥١هـ في إرشاد العقل السليم (ج٥ص٧٤): "(فإذا سويته) أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية.. (و) سويت أجزاء بدنه..، (ونفخت فيه من روحي).. إنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة (الواعية)"، وهكذا أيد الكثير من المفسرين أن تعبير (نفخ الروح) تمثيل للمعنوي بحسي بغرض بيان بث الحياة الواعية والحركة الإرادية؛ منهم النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ في مدارك التنزيل (ج٢ص٢٤١)، وأبو حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ في البحر المحيط (ج٧ ص١٩٢)، والخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧ هـ في السراج المنير (ج٣ص٤٤٠)، والشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ في فتح القدير (ج٤ص٦٣٢)، والجاوي المتوفى سنة ١٣١٦ هـ في التفسير المنير (ج٣ص٤٢)، وقولهم بالتمثيل لبث الروح بمشهد النفخ المحسوس في الحطب يعني تفويض طبيعة الروح كأمر غيبي لعلام الغيوب.

وتتعدد في القرآن الكريم معاني لفظ (الروح) وتُبَيِّن القرائن المعنى اللائق الموافق للمقام؛ وقد يرد لوصف نعمة نفيسة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]؛ قال الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في تفسيره (ج٥ص٤٤٧): "جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب.. وُصف بأنه روح، والمراد من قوله (مِنْه) التشريف والتفضيل؛ كما يقال: هذه نعمة من الله، والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة..، (وقيل أيضا): روح منه؛ أي: رحمة منه، (كما) قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة : ٢٢]؛ أي برحمة منه"، ووُصِفَ القرآن كذلك بالروح على سبيل التمثيل بالمعهود الذهني الشائع في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، قال الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ في مفردات ألفاظ القرآن (ج١ص٤٢١): "سُمِّيَ القرآن روحًا..، لكون القرآن سببًا للحياة الأخروية"، وقد وُهِبَ الإنسان نعمة نفيسة كذلك هي العقل؛ فنشأت المَلَكَات العقلية وهو جنين وتحرك إراديًا بعد التهيؤ بتكون الأعضاء، وفي قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩]؛ قد تَلَازَم (نفخ الروح) كتعبير عن الحركة والوعي مع بدء نشاط الوظائف الإدراكية والإرادية على سبيل التفسير كمعلم بارز في تاريخ الجنين، وأبرز معالم الوعي نشأة وظائف أجهزة السمع والبصر والجهاز العاطفي Limbic System وأبرز معالم الإرادة اتضاح الحركة الإرادية دليلا على بث الحياة الواعية، والالتفات من الحديث بضمير الغيبة (نسله، وسواه، ونفخ فيه) إلى ضمير الخطاب (وجعل لكم) يناسب تلك النقلة الواسعة.

وقد رصدت أجهزة الموجات فوق الصوتية حديثًا بعض حركات إرادية للجنين كمص الأصبع ابتداء من الأسبوع السادس عشر؛ ويمكن في وقت مبكر رصد بعض حركات فردية للعضلات قبل الحركة الإرادية المنسقة بين الجهاز العصبي والعضلي، وبعد الأسبوع السابع عشر (أربعة أشهر) تكون الحركات الإرادية قد اتضحت تماما نتيجة للنشاط الإرادي للجهاز العصبي، قال ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ في كتابه التبيان في أقسام القرآن (ج١ص٢١٨): "فإن قيل: الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟؛ قيل: كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات، ولم تكن حركة نموه وإغتذائه بالإرادة، فلما نُفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه"، وقال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المتوفى سنة ١٤٢١ هـ في تفسيره (ج٣٤ص٤): "والروح لا نستطيع أن نعرف كنهها وحقيقتها..؛ قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، فينفخ الملك الروح في هذا الجنين فيبدأ يتحرك، لأن نماءه الأول كنماء الأشجار بدون إحساس، (و)بعد أن تنتفخ فيه الروح يكون آدمياً يتحرك".

وعند أهل الكتاب كذلك ما يوافق أن التمثيل بالنفخ كناية عن بث الحياة الواعية للجنين، وتفسير العبارة (تكوين ٢: ٧): "نفخ في أنفه نسمة حياة"؛ في قاموس الكتاب المقدس: "قد أوجد الله فيه العواطف الخلقية والميول الروحية والقوى العقلية..، ولا يُراد بنسمة الحياة هذه عملية التنفس الطبيعي فحسب؛ وإنما المُراد منها هو أن الله أعطاه تلك القوى العقلية والروحية مقترنة بالنفس الحية"، و"الروح هي العقل.. خلق الله الإنسان بإعطاء حياة للجسد الذي صوره ثم بخلق روح عاقلة وهبها للإنسان".

ويمكن للجنين سماع الأصوات وتتضح حركته الإرادية للأم كذلك بعد أربعة أشهر؛ أي بعد الأسبوع السابع عشر من بدء الحمل، وتستطيع صاحبة الخبرة متكررة الحمل Multipara أن تستشعر الحركة مبكرا في الأسبوع السادس عشر، ويتفق هذا مع الاحتياط بتحديد أكبر مدة لعدة المتوفى عنها زوجها استبراءً للرحم بعد اتضاح كل علامات الحمل؛ خاصة شعور الحامل بحركة الجنين Quickening، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، والأصل ألا يقع وقاع إلا في طهر امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ويبدأ الطهر بعد أربعة (٢-٦) أيام حيض، وطول الدورة الشهرية أربعة (٣-٥) أسابيع ويقع التبويض منتصفها، وقابلية البويضة للإخصاب لا تتجاوز يوم، ولذا لا يقع الحمل غالبا إلا بعد حوالي عشرة أيام في الطهر، وإذن يكون موعد اتضاح حركة الجنين بعد أربعة أشهر منذ نشأته؛ قال ابن عاشور (ج١ص٦٦٧): "جعل الله عدة الوفاة منوطة بالأمد الذي يتحرك في مثله الجنين تحركاً بيناً"؛ وهو الواقع بالفعل، قال أستاذ الأجنة د. كيث مور في كتابه أطوار خلق الإنسان The Developing Human (ص٩): يُتَوَقَّع الوضع بعد ١٤٧ (+ أو- ١٥) يوماً منذ اتضاح حركة الجنين، ومدة الحمل منذ الإخصاب ٢٦٦ يوما (٣٨ أسبوعا)، فتكون المدة قبل حركته: ٢٦٦ - ١٤٧ = ١١٩ يومًا، وبإضافة يوم الحركة يكون موعد اتضاح حركة الجنين حول: ١٢٠ يوما؛ أي أربعة أشهر، فعدة الوفاة إذن قائمة على العلم بأن موعد التبويض منتصف الدورة؛ وهو ما لا يتيسر لأَحَدٍ معرفته زمن التنزيل إلا بوحي.

(ثانيا) الجمع بين الروايات:

أيدت جملة روايات تفسيرية ما ورد في القرآن من أطوار خلق الإنسان؛ بينما كان السائد منذ عهد أرسطو Aristotle في القرن الرابع ق.م. أن الجنين يُخلق كاملا ابتداء من دم الحيض بلا أطوار نتيجة للتحفيز بالمني، وبعد اكتشاف المجهر تصور داليمباتيوس Dalempatius قبل بداية القرن الثامن عشر بعام أن الإنسان يُخلق كاملا في رأس الحوين المنوي، ومن المأثور الذي خلى من تحديد المدة وحافظ على ترتيب الأطوار ما رواه البخاري في الصحيح عَنْ أَبِي النُّعْمَانِ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي كَامِلٍ عَنْ حَمَّادٍ: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"، وبالفعل تظهر معالم الذكورة في الشهر الثالث بعد اكتمال أوليات الأعضاء؛ وإلا استمر الجنين بهيئة النفس الواحدة في الجنسين Indifferent Stage حتى تتضح الأنوثة في الرابع.

تتضح الهيئة البشرية تماما ويبدأ تميز علامات الذكورة بعد انتهاء الأسبوع الثامن من الحمل.

ومن المأثور الذي حدد مدة توافق بداية اتضاح الهيئة الإنسانية ما أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي عن حذيفة بن أسيد قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هاتين يقول: (إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة)"، وفي رواية: "إذا وقعت النطفة في الرحم ومضى عليها خمس وأربعون ليلة؛ قال الملك: يا رب أذكر أم أنثى؟"، وفي رواية أخرى: "يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب أذكر أو أنثى؟؛ فيكتبان، فيكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص"، والتردد بين وأربعين وحتى خمس وأربعين يمكن حمله على أن المراد فترة تختلف من حمل لآخر في تلك الحدود، وفي رواية أخرى: "إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟، فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك.."، وذكر الحديث.

قال القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ في تفسيره (ج١٢ص٩): "نسبة الخلق والتصوير للمَلَك نسبة مجازية لا حقيقية..، ألا تَرَاهُ سبحانه قد أضاف إليه الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم)، وقال: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)، وقال: (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة)..، إلى غير ذلك من الآيات؛ مع ما دلت عليه قاطعات البراهين أن لا خالق لشيء من المخلوقات إلا رب العالمين، وهكذا القول في قوله (ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح)..؛ فإنه بإحداث الله تعالى لا بغيره..، (و)لم يختلف العلماء أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما، وذلك تمام أربعة أشهر ودخوله في الخامس..، وعليه يعول فيما يُحتاج إليه من الأحكام..، وذلك لتيقنه (أي نفخ الروح) بحركة الجنين في الجوف، وقد قيل إنه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر، وهذا الدخول في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة إذا لم يظهر حمل"، وقال الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ في تفسيره (ج١ص٣٧٦): "ووجه الحكمة في جعل العدة للوفاة هذا المقدار أن الجنين.. يتحرك في الغالب"، وقال البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ في تفسيره (ج١ص٥٢٧): "المقتضى لهذا التقدير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك"، وقال ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ في دقائق التفسير (ج١ص٢٧): "ينفخ فيه من الروح بعد مضي أربعة أشهر"، وفي رسائله (ج٦ص١٠٣): "النفخ.. يكون بعد مضي أربعة أشهر"، وقال ابن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ في تفسيره (ج١ص٦٦٧): "فما بين استقرار النطفة في الرحم إلى نفخ الروح في الجنين أربعة أشهر"، والقول إذن بأن نفخ الروح لا يقع بعد أربعة أشهر من عمر الجنين وإنما بعد أول أربعين، وأنه اكتشاف علمي حديث؛ لا يستند لأصل علمي صحيح ولا تحليل دلالي مطابق لنصوص الوحي، وفيه اعتراض على ما توارثه الأئمة جيلا بعد جيل وأيده العلم الحديث من اتضاح الحركة الإرادية للجنين في أربعة أشهر كعلامة محسوسة للتغير المعبر عنه بنفخ الروح، وأما دفع توهم امتداد أطوار التخليق لأربعة أشهر فقول صحيح؛ لاكتمال جميع أوليات الأعضاء عند نهاية ثمانية أسابيع بيقين.

ويُمكن تأويل الروايات التي يُتَوَهَّم توزيعها الأربعة أشهر على أطوار ثلاث لكل منها أربعين يومًا بوجهٍ يُطَابق الواقع، في رواية البخاري عن عبد الله بن مسعود: "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق؛ قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح)"، وفي رواية مسلم عن عبد الله ابن مسعود أيضا بزيادة (في ذلك): "حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق؛ قال: (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح.."؛ يستقيم حمل (جمع الخلق) تمثيلاً على التنادي واجتماع الأجزاء لتكوين الأعضاء؛ فيتكون كل طور (مثل ذلك) الجمع فيتغير الشكل سريعًا في مرحلة تخليق الأعضاء خاصة، ومثله التعبير عن سرعة الاحتشاد يوم البعث بالجمع والتنادي في التعبير: ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧]، و﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]، و﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]، فلم يتبق حينئذ في الرواية ما يَعُود إليه التعبير (في ذلك) إلا الزمن (أربعين يوما)، فالثلاث أطوار إذن (نطفة، علقة، مضغة) تقع في نفس الستة أسابيع قبل تكون العظام واللحم؛ خاصة لعدم ذكر للنطفة وبيان منحها كل الأربعين، فلو أن الأربعين للنطفة وحدها ولكل من الطورين الآخرين مدة مستقلة مثلها لذكرت بالاسم بياناً لاستمرارها في كل الأربعين.

وفي رواية عن ابن مسعودٍ: "إنَّ النطفةَ إذا استقرَّت في الرَّحمِ تكونُ أربعينَ ليلةً ثم تكونُ علقةً أربعينَ ليلةً ثمَّ تكون مضغة أربعين ليلة ثم تكونُ عظاماً أربعين ليلةً ثم يكسو الله العظامَ لحماً"، قال ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ في جامع العلوم والحكم (ج٦ص٨): "رواية الإمام أحمد (هذه) تدلُّ على أنَّ الجنين لا يُكسى اللَّحمَ إلاَّ بعد مئةٍ وستِّين يوماً، وهذه غلطٌ بلا ريبَ فإنَّه بعد مئة وعشرينَ يوماً يُنفخُ فيه الرُّوحُ بلا ريب..، وعلي بنُ زيدٍ هو ابنُ جُدْعان لا يحتجُّ به، وقد ورد في حديث حذيفة بن أسيدٍ (إذا مرّ بالنُّطفة ثنتان وأربعونَ ليلةً..) ما يدلُّ على خلقِ اللَّحمِ والعِظام في أوَّلِ الأربعين الثانية.

وبالإضافة إذن لإمكان التأويل إلى وجه مطابق للواقع المؤكد طبيًا بيقين؛ فإن رواية حذيفة بن أسيد تؤكد صريحًا وقوع كل الأطوار الثلاث الأولى (نطفة وعلقة ومضغة) في الستة أسابيع الأولى (٤٢ ليلة) وتكون العظام واللحم ابتداء من الأسبوع السابع: "إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها.."، وبذلك يُمكن الجمع بين الروايات الصحيحة السند بوجه يستقيم مع الواقع؛ فيزول توهم التعارض وتتألق دلائل النبوة الخاتمة.

(ثالثا) الإجهاض المتعمد هدم لمشروع الوليد:

لو وُضِعَ الأساس لمشروع عمارة متعددة الأدوار؛ فلم يكن سوى أساس الدور الأول والأعمدة بلا جدران، وجاء أحدهم وأطاح بالأعمدة وهدم الأساس متعمدًا؛ ألا تناله عقوبة ويلزمه التعويض!، وكلما زاد البناء وتعددت الأدوار؛ ألا تتضاعف العقوبة ويزداد التعويض!، هكذا رأي جمهور الفقهاء أنه كلما تقدمت أطوار تخليق جنين الإنسان تضاعفت العقوبة وزاد التعويض لهدم مشروح الوليد ومنع بلوغه الكمال بالاعتداء عليه وتعمد الإجهاض Abortion بغير اضطرار، والضرورة تقدر بقدرها، ولا يُدرك الإجهاض إذا وقع بعد أسبوعين من وقوع الحمل لأنه يُشتبه غالبا مع الحيض التالي، وقد لا يُدرك الحمل كذلك إلا بعد مرور موعد الحيض التالي بفترة معتبرة فيكون الجنين قد تجاوز طور النطفة والعلقة، وهذا يعني أن الإجهاض لا يُتَبَيَّن غالبا إلا والسِّقط قد أصبح مضغة أو أكثر تقدما؛ مما يضيق أكثر على أعذار الإجهاض.

ويُجمع العلماء على تحريم الإجهاض المتعمد بعد مائةٍ وعشرين يومًا مِن بدءِ الحمل حيث تبلغ شدة المنع ذروتها باتضاح حركة الجنين، وفي كتاب القوانين الفقهية لابن جزي المتوفى سنة ٧٤١ هـ (ص٢١٢): "إذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح؛ فإنه قتل نفس إجماعاً"، وقال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المتوفى سنة ١٤٢١ هـ (رحمهم الله تعالى جميعا) في لقاءات الباب المفتوح: "إسقاط الجنين إن كان بعد

نفخ الروح فيه فإنه لا يجوز إسقاطه بأي حال من الأحوال..، (و) قبل أن تنفخ فيه الروح لا شك أنه يختلف بحسب بلوغ الجنين؛ فهو أول ما يكون نطفة أهون ثم إذا كان علقة صار إسقاطه أشد، ثم إذا كان مضغة صار إسقاطه أشد".

فكما تَرَى؛ الأصل هو منع الإجهاض في أي طور كان الجنين والضرورة استثناء، والمنع مع التيقن من حركته أولى؛ سواء كانت الحركة مُرَاد التعبير "نفخ الروح" تمثيلا أو علامة عليه، وموعدها في الشريعة والطب لا خلاف عليه، ومدة أربعة أشهر لنفخ الروح وتحرك الجنين أساسها عدة الوفاة القطعي الثبوت والدلالة؛ وروايات الأربعين تفسير وتفصيل، ومجمل القول أن معالجة وهم امتداد أطوار التخليق الثلاث الأولى لأربعة أشهر تتطلب الجمع بين الروايات والترجيح في ضوء الحقائق العلمية؛ وليس بالتشكيك في موعد الحركة الإرادية الثابت بالوحي والموافق للواقع، ومعارضة قول بإباحة الإجهاض قبل أربعة أشهر ليس عذرًا؛ لأن الأصل هو المنع المتزايد الشدة بتقدم الأطوار إلى حد التحريم، والله تعالى أعلم.

المراجع العلمية:

1. The Developing Human, Keith L. Moore, Fourth ed.,1988, Saunders Comp., Toronto, P: 7-11, 14.
2. Obstetrics and Gynaecology for Postgraduates, Charles Whitfield, 5th ed., 1995.
3. Obstetrics and Gynaecology, Tim Chard, 4th ed., 1995.
4. Medical Embryology, Jan Langman, 4th ed., 1981.
5. Human Male Fertility and Semen Analysis, Glover, Barratt, Tyler, Hennessey, 1990.

المراجع الدينية:

(ترقيم الشاملة)

١. صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.
٢. صحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ.
٣. سنن البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ.
٤. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ
٥. تفسير الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ.
٦. تفسير القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ.
٧. تفسير البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ.
٨. تفسير النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ.
٩. دقائق التفسير لابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.
١٠. رسائل ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.
١١. تفسير النيسابوري المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.
١٢. القوانين الفقهية لابن جزي المتوفى سنة ٧٤١ هـ.
١٣. تفسير أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ.
١٤. التفسير القيم لابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ.
١٥. التبيان في أقسام القرآن لابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ.
١٦. تفسير ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.
١٧. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ.
١٨. فتح الباري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.
١٩. تفسير أبي السعود المتوفى سنة ٩٥١ هـ.
٢٠. تفسير الخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧ هـ.
٢١. تفسير الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ.
٢٢. تفسير الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ.
٢٣. التفسير المنير لمحمد بن عمر نووي الجاوي المتوفى سنة ١٣١٦ هـ.
٢٤. لقاءات الباب المفتوح لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المتوفى سنة ١٤٢١ هـ.
٢٥. قاموس الكتاب المقدس.